نبذة تاريخيـة عـن الأهتمـام بتربيـة الطفـل

لقد أهتم الفلاسفة والمفكرون على إختلاف إنتماء اتهم القومية والفكرية بتربية الأطفال. واعتبروها دعامة للتربية اللاحقة، وقد إزداد الاهتمام فى العصر الحديث، حيث كثرت الدراسات حول الطفل وحول أفضل الطرق فى تعليمه، وقد تنوعت اتجاهات المربين والمفكرين، واختلفت التطبيقات فى المجتمعات حتى أصبح لهذا الموضوع علماؤه المتخصصون فيه.

وكانت التربية فى المجتمعات البدائية وفى الثقافات القديمة آلية تدريجية هدفها تمكين الطفل من العيش مع جماعته، وبذلك كانت تربية غير مقصودة تتم بمشاركة الطفل ووالديه.

وتميزت بعض الفترات التاريخية بأهمية مرحلة السن قبل المدرسى، فكشفت مدائن المصريين القدامى عن مدارس للصغار اشتملت منا هجها على اللعب الطينية والخشبية.

أما التربية اليونانية القديمة فقد اهتمت بمساعدة الطفل على تحقيق نموه المتكامل والأهتمام بجسمه وعقله وروحه وذوقه. وقد أهتم كل من أفلاطون ٣٤٧ - ٤٢٩ق.م وأرسطو ٣٢٢ - ٣٨٤ق.م بالتربية البدنية خلال الست سنوات الأولى من عمر الطفل، إلى جانب التربية العقلية والخلقية عن طريق الألعاب والنمو والرياضيات والموسيقى والرسم، وقد استمر تأثير آراء هذين الفيلسوفين وغيرهما من فلاسفة اليونان إلى بداية العصر الحديث.

وقد اتسمت التربية الرومانية بالناحية العملية إذا يقرر كوانتيليان Quintilien ٣٥ - ٩٥م صاحب التربية الخطابية يجعل الدراسة للطفل كاللعب، وينادى بالإكثار من الأسئلة وإعطاء المكافآت والتدرج مع الطفل فى تعليمه القراءة والكتابة وعدم الأسراع فى ذلك اكثر مما ينبغى.

وبتطوير الثقافة الإنسانية، وبمجيء الديانتين المسيحية والإسلامية، ذاد الأهتمام بتربية الطفل، ففى الديانة المسيحية الأولى والعصر الوسيط كان الهدف الأسمى تقوية عقيدة الطفل وتهذيب خلقه وإعداده للحياة الآخرة، حتى ظهور اليقظة الفكرية الإبداعية الإجتماعية والإصلاحية الدينية التى اصبحت تهتم بالفرد ككل فى جسمه وروحه وعقله وذوقه وعمله. أما فى الديانة الأسلامية فكان الهدف دينياً ودنيوياً منذ البداية، وقد كان الأهتمام كبيراً بتعليم الأطفال فى الكتاتيب القرآن الكريم والعلوم المتصلة به. وقد أورد

الفيلسوف المسلم أبو حامد الغزالى فى كتابه «احياء علوم الدين» سنة ٥٠٥ هـ، ١١١١م

نصائح ذات قيمة تربوية ممتازة، أهتمت بتهذيب خلق الطفل، وشغل أوقات فراغه والاعتدال فى معاملته والأهتمام باللعب باعتباره يؤدى إلى مساعدة الطفل على تنمية جسمه وتقويته، وإدخال السرور فى قلبه وإراحته من تعب الدروس.

وللفيلسوف عبد الرحمن ابن خلدون سنة ٨٢٨ هـ، ١٤٠٦م إسهامات لابأس بها وأفكار خصبة، وآراء تربوية نقدية فى المناهج وطرق التعليم وقد نّوع ابن خلدون أساليب التعليم، وأشار إلى التلقين والمحاكاة أو التقليد، والتجربة، واستخدام الوسائل المعينة على التعلم، والى مراعاة التدرج، والتتابع والتوسع والتعمق والشمول فى تعليم الأطفال.

وبزيادة تطور الثقافة، وتأثير عصر النهضة فى مجالات كثيرة منها التربية، نمت الأفكار التربوية، إذ برزت فى القرن السادس عشر آراء فى تربية الطفولة المبكرة، كما جاء فى مؤلفات إيراسموسى Erasmus الذى كانت آراءه صدى لأراء كوانتيليان، حيث أو صى بأنه على المعلم اصطناع الطرق المشوقة للأطفال فى بناء وصناعة حروف الكتابة مما يجعلهم يقبلون عليها ويسهل فهمهم لها. كما يوصى بلين الأم ولطفها، وطيب الأب وألفته، وبرقة المعلم وعطفه.

وفى القرن السابع عشر برزت مؤلفات وتطبيقات كومينوس Comenius الذى يعد أول مربى يقدم كتباً مصورة لمرحلة ماقبل المدرسة، وذلك فى مدارس الأمهات التى أنشأها، وقد اهتم فيها باسداء النصائح وتقديم التوصيات والتوجيهات للأمهات فى تربية أطفالهن الصغار. كما طوّر دروساً بسيطة حول تعلم بعض الأشياء القريبة والمحيطة بالطفل كالنبات والحيوان والهواء، ويسمى كومينوس التربية خلال السنوات الأولى «مدرسة الأم» حيث تنمو حواس الطفل التى يدرك بها بيئته إدراكاً مباشراً وركز على المشاهدة والملاحظة الحسية للأشياء حتى تزيد ثباتاً ورسوخاً فى ذهن الطفل، ومن أشهر كتبه (عالم المحسوسات المصورة) الذى عضده بصور تعيين الطفل على تصور الأشياء وابجدية تقابل كل حرف فيها صوت حيوان أو اصواتا مألوفة من الطفل.

وقد خطا جان جاك روسو J.J Rousseau ١٧١٢ – ١٧٧٨م الفيلسوف والمربى الفرنسى خطوة كبيرة فى تربية الطفل وذلك بوصفه مبدأ هاماً إتضح فى كتابه (إميل) عام ١٧٦٢م وهو أن انشطة الطفل العادية تدعم الوسائل الطبيعية للنمو، ومن هذا المبدأ وغيره من المبادئ، استفاد هنرى بستالوتزى وفردريك فروبل فى إنشاء مدارسهم فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وفى إطار اهتمام روسو بنشاط الطفل فإنه ينصح بمد

الطفل بالوسائل التى يظهر فيها هذا النشاط ونادى باستغلال حواسه والعمل على تربيتها مبكراً

واعتقد أن لحركة الطفل ولعبة فائدة اكثر من تعليمه القراءة خاصة من الناحية الحسية والعقلية، ومن المظاهر التى يجب أن تتحقق لطفل ما قبل المدرسة أن يصبح صحيح الجسم سليم البنية، نشطاً قادراً على تحمل تقلبات الجو على استخدام حواسه وعلى تحمل الألم، وعلى الحديث بلغة الأم بصوت واضح وألفاظ دقيقة.

أما بستالوتزى J.H. Pestalozi ١١٧٤٦ – ١٨٢٧م فقد قدم التعليم من خلال الحواس المعبرة عن الأفكار وتنمية القدرات خلال نشاطات العقل، اى أنه يرى بوجوب البدء مع الطفل المبتدي بالمدركات الحسية والانتقال من المحسوس إلى المجرد، ومن البسيط إلى المركب، ومن العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل، ومن المعلوم إلى المجهول. ومراعاة لخصائص نمو الطفل، وكذلك يرى أن الملاحظة والأدراك الحسى أساس عملية التعليم، وأن المحبة والحنان غذاء تبنى عليهما العلاقة بينِ والمُربي والمُربى

ثم جاء فروبل Froeble مهتما بالعمل والنشاط والتعبير الذاتى، والالعاب الغنائية والموسيقى والإيقاع، معبراً عن ضرورة الأهتمام بهذه المرحلة، حيث أن جذور المشكلات التى يعانى منها الفرد فيما بعد تكون راسخة فى هذه المرحلة من مراحل النمو.

وقد اشار كل من وستون Weston وفرويد Freud على أن شخصية الطفل المستقبلة تتحدد معالمها مع نهاية السنة الثانية من العمر. كما اتخذت منستورى montes-sori طريقة فروبل ونقحتها ودعمتها بطب الأطفال، وأحدثت تطوراً كبيراً فى مناهج رياض الأطفال وادارتها. بين الثالثة والسابعة من العمر مهتمة بصحة الأطفال وتغذيتهم، معطية الحرية لهم للقيام بأنشطتهم دون تدخل مباشر، والتى كانت أساساً لمنهجها الفردى المعتمد على تربية حواس الطفل وعضلاته الصغيرة نتيجة لبحوثها ودراستها.

واخذت ـ هاربت جونسون ـ مبدأ اللياقة البدنية كأساس للصحة الجيدة مشيرة إلى أهمية العضلات الكبيرة أولاً. فى وقت كان الأهتمام موجهاً نحو تنمية العضلات الصغيرة، فشعرت بحاجة الأطفال للحركة ومسائل التسلق والتعلق والتزحلق وإعتمدت فى مناهجها على أستخدام المواد الأولية السابقة والمواد الخام كالتلوين والأقلام ونتيجة لهذا التطور نظراً إلى اللعب على أنه عمل مهم للطفل يستدعى استخدام عقله وطاقاته الجسمية ومهاراته الحركية.

أما جان بياجيه Jean Piaget الباحث وعالم التنفس التكوينى فقد ساهم فى توضيح تفكير الصغار، وكيفية انتقالهم من التفكير البسيط إلى التفكير المنطقى وطالب بتهيئة الفرص لخبرات الأطفال المباشرة بدلاً من العرض وسرد الخبرات وحكايتها وملاحظة نضج الطفل.

وتتغير الحياة الاجتماعية بصورة عامة، ووظائف الأسرة بصفة خاصة من جراء التطور الثقافى والتقدم الصناعى والتقنى، جعل الأسرة المعاصرة لاتستطيع بمفردها تنشئة الطفل وتربيته فردياً واجتماعياً. وقد دلت أبحاث العلماء والتجارب على أن التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، لها أثر كبير فى تشكيل شخصية الطفل يكاد لايوازنه أثر أى مؤسسة أخرى حيث توفر الأم لطفلها أغلب حاجاته ومن أبرزها الطعام والحب والعطف والحنان، الأمر الذى جعل الإهتمام بتعليم وتربية الطفولة المبكرة ضرورة لازمة فى مؤسسات ذات نوعية (متقدمة) من الرعاية، تعاضد الأسرة وتتكامل معها وخاصة عندما يصبح عمر الطفل أربع سنوات، ويبدأ فى الحركة والأنطلاق، ويقل اعتماده على الأسرة.

ومن هنا برزت أهمية دور الحضانة فى سن ما قبل المدرسة.